Algerian Journal of Human and Social Sciences
المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN : 2588–1558 / EISSN : 2710–8635

المجلد:06/العدد:01
(جوان 2022) ص:43–61

واقع البحوث الاجتماعية في ظل الإنسانيات الرّقمية
قراءة موجزة في الإشكاليات الإبستيمولوجية و المنهجية الرّاهنة
البحوث الإعلامية نموذجا

The reality of social research in the light of digital humanities
A brief reading of current methodological and epistemological problems – Media research as a model

طايبي فاطمة الزهراء[1]*

Fatima Zohra TAIEBI[1] *

[1]المدرسة الوطنية العليا للصحافة و علوم الإعلام (الجزائر) taiebi.fatima-zohra@ensjsi.dz

تاريخ الإرسال: 2020/12/08 **تاريخ القبول: 2022/02/03** **تاريخ النشر: 2022/06/18**

ملخص:

يتناول هذا المقال الرّهانات المنهجية و الإبستيمولوجية التي تطرحها التّحولات الرّاهنة في مجال البحوث الاجتماعية، و التي تندرج ضمن الإنسانيات الرقمية ، كمجال بحثي ، عابر للتخصصات، لا يعنى فقط بتنظيم و تكميم المعارف بالاعتماد على أنظمة الإعلام الآلي، و إنّما يهتم بالدّراسات الرقمية للظواهر الناتجة عن الانتشار السّريع لتكنولوجيا الاتصال، و اتساع الاستخدام الاجتماعي للوسائط الجديدة، و هو لا يزال محل تطوير من طرف الباحثين.

يهدف هذا البحث إلى تقديم الأطر النظرية، والمقاربات المنهجية المستحدثة، المتبعة في دراسة الظواهر الجديدة، و التي تسمح ب جمع المعطيات، معالجتها و تحليلها من أجل الوصول إلى حقائق موضوعية، تثري الحقل المعرفي و الأكاديمي. و كمثال على ذلك، اخترنا تخصص علوم الإعلام و الاتصال لعرض مدى استفادة البحوث الإعلامية من البراد يغم البحثي الجديد.

الكلمات المفتاحية : الإنسانيات الرقمية، المناهج الرّقمية، إبستيمولوجيا البحث الاجتماعي، العلوم الإنسانية و الاجتماعية، علوم الإعلام و الاتصال

Abstract :

This article tries to describe the new age of social science. It presents the digital humanities as a field of research which revolutionized social research practices, through the emergence of new digital research methods. This paper examines the importance of current social research that has fundamentally changed the methodology of data collection and analysis, in order to enrich knowledge and academic field. In this context, we choose information and communication sciences to explain how they benefit from the new research paradigm.

Keywords: Digital humanities, digital methods, epistemology of social research, Humanities and social science, Information and communication Sciences.

* المؤلف المرسل. مخبر وسائل الإعلام، الاستخدامات الاجتماعية و الاتصال.

1.مقدمة

شهدت السّنوات الأخيرة تطوّرا هائلا في مجال استخدام و تبنّي تكنولوجيا الإعلام و الاتصال، و ما نتج عنه من انتشار لظواهر مستجدّة تحمل مواصفات مختلفة عن ظواهر الفضاء الواقعي. فرضت هذه التّغيرات على الباحثين إعادة النّظر في العدّة المنهجية و النّظرية لمحاولة فهمها و تفسيرها.

تندرج هذه التحوّلات البحثية في العلوم الاجتماعية ضمن الإنسانيات الرقمية (Digital humanities). يهتم هذا المجال البحثيبدراسة الظواهر الحديثة بالاعتماد على أدوات بحثية مختلفة عن الأدوات الكلاسيكية.

طرحت التطوّرات الحاصلة تساؤلات ورهانات بحثية جديدة ، منهجية و إبستيمولوجية . و أثارت نقاشا جدّيا في خضم ا لعلوم الإنسانية و الاجتماعية ، أو "العلوم اللّينة" التي طالما عانت من مسألة المنهج، التّنظير و التأ ويل[1] :كعلوم الإعلام والاتصال، علم الاجتماع، التاريخ، الأنثروبولوجيا، العلوم السياسية، الاقتصاد، و اللسانيات.

لقد أفرزت العوالم الرّقمية تحوّلات عديدة، ممّا شجّع الباحثين و دفعهم إلى التفكير والاجتهاد، لاستحداث أدوات بحثية، تساهم في تطوير طرق فهم الواقع و بناءهو الوصول إلى نتائج ، متحدّين العوائق التي يطرحها الفضاء الافتراضي، و ما يميزه عن الميدان التقليدي (الواقعي) (le terrain).

في هذا السياق،عرفت علوم الإعلام و الاتصال بروز إشكاليات بحثية جديدة ناتجة عن تنامي استخدام الأنترنيت، بصفتها منظومة تواصلية جديدة و فضاء تفاعليا و ديناميكيا، و ما تولّد عنه من ظواهر إعلامية معقّدة و متشابكة. الأمر الّذي أدّى إلى صياغة مقاربات

نظرية و منهجية، تأخذ بعين الاعتبار خصائص الظواهر الجديدة: كالتّداخل، التعقيد، الديناميكية والشمولية[2].

من خلال ما سبق نحاول الإجابة على ما يلي:

كيف تطوّرت البحوث الاجتماعية في ظل الإنسانيات الرقمية ؟ و ما تجّليات ذلك في البحوث الإعلامية الرّاهنة؟

للإجابة على هذين التساؤلين سوف نتطرّق إلى العناصر الآتية:

- مفهوم البحوث الاجتماعية و خصائصها.
- الإنسانيات الرقمية: مقاربة مفاهيمية.
- عوائق البحوث الاجتماعية في ظل الإنسانيات الرقمية.
- موقع علوم الإعلام و الاتصال من الإنسانيات الرقمية.

تعتمد هذه الدراسة على رصد التطوّرات المنهجية التي شملت البحوث الاجتماعية في السّنوات الأخير ، بالإضافة إلى البحث الوثائقي للإحاطة بأهم الدّراسات و المنشورات المحيّنة حول موضوع هذا المقال.

2. مفهوم البحوث الاجتماعية و خصائصها

تعرّف البحوث الاجتماعية على أنّها: "عملية تسعى إلى إنتاج المعرفة عن العالم الاجتماعي و الإجابة عن أسئلة حوله، و تستخدم مجموعة من الأساليب و الأدوات. تتسم هذه العملية بالتصور و التخطيط المسبقين و التنظيم و الانتظام، و تستخدم المنهج العلمي"[3].

تدرس البحوث الاجتماعية الظواهر الاجتماعية النّاجمة عن تفاعل الإنسان و بيئته، و ذلك بالاعتماد على مناهج علمية تتيح الوصول إلى حقائق موضوعية. يعبّر عنها بونوا غوتيبيأنّها: " نشاط يهدف إلى البحث الموضوعي عن معارف تتعلق بمسائل واقعية"[4].

تنتمي البحوث الاجتماعية إلى حقل العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، التي تعنى : "بمعرفة و فهم الإنسان و معنى أو دلالة أفعاله، تشتمل هذه العلوم التي كانت تسمّى في السابق بعلوم الإنسان، ثم لاحقا بالعلوم الاجتماعية على فروع عديدة تقوم بدراسة الإنسان من جوانب متعددة كعلم النفس، علم الاجتماع، علم التاريخ، علم السياسة، علم الاقتصاد و الإدارة"[5].

تهتم هذه البحوث بالكائن البشري، تأويلاته لوجوده، أفكاره و سلوكاته. كما تهدف إلى كشف الحقائق و التعرّف على أوضاع الأفراد و الجماعات ، انطلاقا من الميدان ، بعيدا عن الحس المشترك و الأحكام المسبقة، و محاولة إيجاد الحلول المناسبة، من خلال المساهمة في سن السّياسات المناسبة (البحوث التّطبيقية) ، و تطوير الحقل العلمي و الأكاديمي (البحوث الأساسية). و كذلك التنبؤ بالمخاطر المتولّدة عن مختلف المشكلات الاجتماعية، و كيفية مجابهتها، مثل ظاهرة الهجرة غير الشرعية، البطالة، وسائل الإعلام و العنف، إدمان الأطفال على الأنترنيت... الخ. و بهذا يساعد البحث الاجتماعي على إثراء معارفنا ، و الإسهام في فهم المجتمع.

يعتمد الباحث في ذلك على منهجية علمية ، تعرّف على أنّها مجموعة من الخطوات الدّقيقة ، و المنظّمة، تسمح بملاحظة الظاهرة محل الدراسة، و تحديد الإشكالية و فرضيات البحث، و الاختيار الجيد لأدوات جمع المعطيات ، ثم الوصول إلى نتائج من شأنها الكشف عن الموضوع المدروس.

تكتسي البحوث الاجتماعية أهمّية بالغة، ذلك أنّها تساهم فيفهم الظواهر، تفسيرها ، و التّنبؤ بخطورتها. تنقسم هذه البحوث إلى نوعين: بحوث كمية و بحوث كيفية و لكل منها ميزاتها ، و خصائصها، و غاياتها البحثية.يواجه الباحثون الاجتماعيون صعوبات كثيرة أثناء إجرائها، لعدم توفّر منهجية مثالية أو نهائية، نذكر منها:

- خلافا للعلوم الطبيعية، تدرس العلوم الاجتماعية الكائن البشري بتعقيداته و تغيّره المستمر.
- المشاكل النظرية و المنهجية نظرا لتعدد المناهج و صعوبة التّحكم فيها[6]،
- صعوبة الالتزام بالقواعد العلمية كالحيادية و الموضوعية[7].
- صعوبة إجراء البحوث الميدانية ، و هذا راجع لعوامل عديدة من بينها تخوّف المبحوثين من الباحث و عدم ارتياحهم عند الإدلاء بالمعلومات الخاصة بهم.

هذه الصعوبات وغيرها لم تضمحل بعد التحوّل الذي عرفته البحوث الاجتماعية في إطار الإنسانيات الرقمية، و إنّما ساهم ذلك في تجديد الإشكاليات القديمة ، و فتح المجال أمام أخرى.

3. الإنسانيات الرقمية: مقاربة مفاهيمية

عرفت البحوث الاجتماعية ،منذ أكثر من ع قدين، تغيّرات جذرية بفعل انتشار التكنولوجيات الحديثة للإعلام و الاتصال و كذا اتساع جمهور مستخدمي الأنترنيت. لقد أصبح الواب مجالا خصبا للدراسة من طرف باحثين في ميادين علمية متنوعة. إنّ استخدام الوسائط الرقمية، في جميع النشاطات الحياتية ، دفع الباحثين لتطوير تقنيات بحثية هجينة «hétérogènes»، تجمع بين تخصصات دقيقة (كالرياضيات، الإعلام الآلي) و تخصصات تنتمي إلى ا لعلوم الإنسانية و الاجتماعية (كعلم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، التاريخ، اللّسانيات)، لأنّ الأدوات البحثية الكلاسيكية : كالملاحظة و المقابلة، و غيرها، بالرّغم من أهميتها، لا يمكنها ،وحدها، الإحاطة بالظاهرة المدروسة. يعرف هذا المجال بالإنسانيات الرقمية: "أصلها من الإنجليزية Digital Humanities، ظهر المصطلح في 2004، في كتاب A companion to Digital Humanities للمؤلفة Susan Schreibman تبلور المصطلح

مع نشأة alliance of digital humanities organization the في2005، و هي تعنى بدراسة الظواهر الناجمة عن التقاء مجال الإعلام الآلي و العلوم الإنسانية و الاجتماعية"[8].

يعرّف الباحثان Marin Dacos و Pierre Mounier، الإنسانيات الرقمية على أنّها: "ممارسات بحثية ترتكز أساسا على الجمع بين التكنولوجيا الرقمية و مختلف تخصصات العلوم الإنسانية و الاجتماعية" [9]، ففي نظرهما، تعود بدايتها إلى الفترة التي سبقت مرحلة الواب التشاركي (أي الفترة الممتدة من الستّينات إلى التّسعينات) ، و تميّزت بلستخدام برمجيات الإعلام الآلي من أجل تكميم المعلومات، معالجتها و تمثيلها بيانيا في تخصصات علمية كالجغرافيا، التّمثيل الثلاثي الأبعاد في ميدان علم الآثار، و قياس المعاجم (lexicométrie). سهّلت هذه التقنيات تنظيم المعارف في مجال العلوم الإنسانية و الاجتماعية. أمّا عن الجيل الجديد للإنسانيات الرقمية (digital humanities2.0)، فيعنى بالدّراسات الرقمية (digital studies) المتعلّقة بالمجالات الاجتماعية و المجتمعية المتولّدة عن العالم الرقمي (العلاقات الاجتماعية، الثّقافة، المجتمع، الاقتصاد، البحث العلمي، المؤسسات، الاتصال). كما يوضّح الباحثان: "أصبح المجال الرقمي وسيلة بحث، أداة اتصال، و موضوعا بحثيا...فهو ليس شيئا عابرا، و سطحيا، و إنما يستدعي إعادة النظر في مجمل العلوم الإنسانية والاجتماعية"[10].

يعبّر عنها ميلاد الدّويهي، على أنّهاأثارت: "تحولا جذريا في المشهد الثقافي"، و يعرّفها على أنها: "عابرة للتخصصات une transdiscipline، توفّر مناهج و آليات للبحوث الاجتماعية في الفضاء الرقمي"[11].

فرض هذا التحوّل على الباحثين الابتعاد عن التخصص و خلق حوار بين التخصصات (une transdisciplinarité). هذا ما يسمّيه بوليي Boullier[12] بالجيل الثالث من العلوم الاجتماعية، الذي يعتمد على الإعلام الآلي و الفيزياء من أجل دراسة الظواهر الرّقمية و جمع المعطيات اللّمية[13]. هكذا أصبح اللّجوء لاستخدام الطرائق البحثية المستحدثة حتمية غير متنازع فيها، من أجل الفهم و التعمّق في الظواهر الناتجة عن الوساطة الرقمية.

إذن، تهتم الإنسانيات الرقمية بدراسة الظواهر التي أصبحت تتطوّر باستمرار في الفضا ين الرقمي و التقليدي: كشبكات التواصل الاجتماعي، التنشئة الاجتماعية، التسويق، السلوكات السياسية، الاجتماعية و الثقافية.

4.عوائق البحوث الاجتماعية في ظل الإنسانيات الرقمية

1.4. من النّاحية المنهجية:

بداية، يوفّر العالم الرقمي معلومات وفيرة للباحث (big data)، تتعلّق بالممارسات الفردية و الجماعية التي يستحيل الحصول عليها و التّحكم فيها بالتّقنيات البحثية التقليدية، ممّا يتطلّب اللّجوء إلى مختصين في الإعلام الآلي و علم الفيزياء لجمعها و معالجتها . من ميزاتها :إنّها معلومات*[1] وفيرة (من حيث كبر حجمها)، و متجدّدة (تتجدّد باستمرار)، و متنوعة (نص، صور، فيديوهات، أصوات)[14].

تحاول هذه البحوث دراسة المبحوثين ، من خلال الآثار التي يتركونها في العالم الرقمي ، بشكل متزامن أو غير متزامن ، (المحادثات،التّعليقات عبر مواقع التواصل الاجتماعي كالمدوّنات و الويكي، المنتديات، المحاضرات، الرسائل القصيرة) . ما يسمّيه بود Beaude

بالقراءة البعيدة "distant reading"، التي لا تعتمد على الحوار أو المساءلة المباشرة للأفراد المبحوثين [15]،ممّا يؤثرفي نظر العديد من الباحثين على "دقّة و نوعية" هاته المعطيات.فبالرغم من وفرتها إلا أنّها لا تمثّل الواقع الاجتماعي تمثيلا حقيقيا ،ذلك أنّها لا تأخذ بعين الاعتبار السياقات الّتي تتبلور فيها الأفعال النّاتجة عن المستخدمين . كماأنّها عبارة عن ممارسات يسهل تكميمها دون تأويلها. و بناء على هذا،تثار تساؤلات جدّية حول إبستيمولوجيا المعارف الجديدة، التي تفرض على الباحث عدم الاكتفاء بالإحصائيات (جمع و معالجة المعطيات الكمية)، بل العمل على إنتاج معاني جديدة تهتم أكثر بالتّأويل. أييجب على الباحث أن لا يكتفي بدراسة الواقع الاجتماعي من خلال الواب ، بل عليه ا تباعه بمقاربات ميدانية كلاسيكية ليكون البحث متكاملا و متميّزا بفهم أعمق لممارسات الأفراد (عبر الخط و خارجه)*[2].

- تسمح البحوث التقليدية بتفاعل أكبر مع المستجوب ، عكس البحوث الرّقمية التي تعطي للمبحوث إمكانية حجب هويته، تغييرها، و خلق هويات أخرى [16]، فليس كل ما يصرح به المبحوث حول متغيراته السوسيوديمغرافية هو الحقيقة (كالسن، الجنس، مكان الإقامة).

-البحوث الرقمية توفر على الباحث عناء التّنقل الميداني و تكلفته، إلاّ أنّها تطرح بشدّة مشكلا أخلاقيا، يتمثل في استخدام معلومات شخصية منشورة (عامّة أو خاصة)، و استغلال منشورات المبحوث دون إذنه من قبل الباحثين، و كذا عدم مراعاة حقوق المؤلف.

بالرغم من أهمّية الأدوات البحثية الحديثة إلاّ أنّها تطرح صعوبات منهجية كثيرة،منها:

-مسألة المعاينة في البيئة الرقمية و صعوبة احترام قواعد تمثيل العينة و تجانسها.

-محدودية فعالية البرمجيات المعتمدة، كما هو في عملية انتقاء النّصوصو دراستها، على سبيل المثال.

-تمنح المناهج البحثية الجديدة إمكانية تكميم البياناتو تمثيلهابيانيا (الرسوم البيانية، الخرائط) دون تأويلها.

-يصعب تعميم نتائج البحوث الرّقمية نظرا لخصوصية الظواهر المدروسة.

2.4 من النّاحية الإبستيمولوجية:

بما أنّ الإبستيمولوجيا، تهتم بالدّراسة النّقدية للمبادئ و الفرضيات و النتائج العلمية [17]، و تسعى إلى كشف المشكلات داخل النّسق الفكري العام، فإنّ إبستيمولوجيا المنهج في البحوث الاجتماعية الرّقمية أثارت، من جديد موضوع التّأسيس المنهجي و الشرعية العلمية للنشاط البحثي، ممّا يجعل الباحث يعيد النظر في المناهج المتّبعة في تنفيذ البحث حول الإشكاليات البحثية المعاصرة، و استقراء الأدوات المنهجية المستخدمة من خلال تساؤلات عديدة، مثلا: فيما يخص تطبيق التقنيات البحثية الكيفية، كالإثنوغرافيا الافتراضية، تبرز صعوبات كثيرة، من بينها: كيف يقوم الباحث بإجراء ملاحظات حول ظاهرة معيّنة عبر المنصّات الرّقمية دون استئذان المبحوثين: كملاحظة مجموعات الدردشة عبر الأنترنيت، أو مجموعات روّاد الألعاب الإلكترونية؟ أيضا بالنسبة للمقابلة الإلكترونية،كيف يمكن للباحث إجراء بحث اجتماعي و مسائلة مبحوثين مجهولي الهوية أو يستخدمون أسماء مستعارة؟ كيف تتم دراسة الظاهرة و تحديدها، في ظل صعوبة تحديد موضوع البحث و مجتمعه، في بيئة رقمية افتراضية تنعدم فيها الحدود و تتميّز بتعدّدها، تشابكها، و تداخلها و عدم استقرارها؟ [18]، هذه بعض تجلّيات الإشكاليات التي تعيق الباحث في دراسة الظواهر الجديدة و أبعادها المختلفة.

فيما يتعلّق بالخلفية النّظرية للبحوث الاجتماعية في البيئة الرّقمية،فهي تعدّ من المسائل العسيرة التي طالما يتجنّب الباحث الخوض فيها أثناء القيام ببحثه، فيكتفي العديد من الباحثين بتبني مقاربات نظرية جاهزة مستنبطة من سياقات عامّة، محاولة منهم استجلاء واقع الظواهر الاجتماعية و إنتاج معارف جديدة[19].

إنّ تعقد الظواهر الرّقمية، يفرض على الباحثين التّعامل معها بكل حذر و دقّة، للتمكّن من تخطّي العوائق المذكورة سالفا، و فتح آفاق جديدة، من خلال تطوير مناهج تتيح معالجة الإشكاليات المعاصرة،بمؤشّراتها الكمية و النّوعية، داخل سياقاتها الاجتماعية و الثقافية.

5. موقع علوم الإعلام و الاتصال من الإنسانيات الرقمية

لقد أدخل هذا البراد يغم البحثي المستحدث، تغييرات في طريقة فهم الأحداث و بناءها، في جميع الميادين العلمية ، وبخاصة، علوم الإعلام و الاتصال ،بصفته حقلا علميا متداخل العلوم (interdisciplinaire)، و يرتكز على أدوات و مناهج العلوم الإنسانية و الاجتماعية في دراسة الظواهر الاتصالية (كعلم الاجتماع، علم السياسة، علم النفس، و الإحصاء)[20]، التي لم تعد تقتصر على الإعلام الجماهيري، فحسب، بل تعدّته إلى مواضيع بحثية جديدة. و بالرّغم من اتساع حقل البحوث الإعلامية، فإنّه حافظ على استخدام الأدوات المنهجية النّاجمة عن التّراكمات المعرفية و النّظرية السابقة.

فرضت الرّهانات الحالية ، النّاتجة عن الإنسانيات الرقمية ،أنماطا معرفية و منهجية جديدة تتلاءم و طبيعة علوم الإعلام و الاتصال ،بصفته حقلا معرفيا متعدداً يهتم بمسائل عديدة كالتّقنية، الرّسالة، الفن، الثقافة، الاتصال السياسي، والأنثروبولوجيا[21].

في هذا السياق، من المهم أن نذكّر بالأطر النظرية و المنهجية التي يوظّفها الباحثون ،في دراسة الظواهر المتعلّقة بالإعلام الجديد و تحليلها (دعائم و مضامين) في المجتمع. حيث

يلاحظ استعانة الباحثين بالعديد من المقاربات الكلاسيكية _ لأنّها تخدم البحث_ كالنّظريات والمناهج التي تندرج ضمن الاتجاه الإمبريقي الإحصائي ، و كذ لك المقاربات السوسيوتقنية التي تهدف إلى وصف انتشار التكنولوجيات الحديثة للإعلام و الاتصال و استخدام ها، و محاولة فهم تأثيرها في مختلف جوانب الحياة (السياسية، الثقافية، الاجتماعية).لطالما وُظّفت هاته الأدوات البحثية في بحوث الاتصال الجماهيري، منها ما ينتمي إلى المدرسة الوظيفية ، و البراديغم الوضعي كنظريات التأثير . نشير أيضا إلى نظرية الاستخدامات و الإشباعات (Katz, Blumler, Gurevitch,1973)، التي لاقت رواجا بين الباحثين، في دراسة ظواهر الإعلام الجديد، حيث يطّلع المستخدم على مضامين ا لأنترنيت لإشباع حاجات نفسية و اجتماعية.

كما لجأ كثير من الب احثين إلى توظيف نظرية انتشار المبتكرات الحديثة (Everett Rogers,1962)، لوصف كيفية انتشار التكنولوجيات الحديثة وتبنيها من طرف الفاعلين الاجتماعيين.

اعتمدت أيضا سوسيولوجيا الاستخدامات (De certeau1980, Jouet 1990, Vitalis 1994, Chambat 1994) كخلفية نظرية ، من أجل محاولة فهم صيرورة الاستخدام: الفاعلون المستخدمون، معرفة خصائصهم السوسيوديمغرافية، و تحليل دوافع الاستخدام و أنماط ه. بالإضافة إلى استعم ال أدوات كلاسيكية ، اهتمّت بتحليل الأنساق الاتصالية و الخطابات المختلفة (النصوص، الصور، ...)، كالسّميولوجيا و تقنية تحليل المضمون.

و من أجل دراسة المواضيع البحثية الجديدة (المواقع الإلكترونية، الفضاء العمومي الافتراضي، تعليقات المستخدمين، المدونات، المنتديات)وظّف باحثون آخرون مقاربات بحثية عديدة، تنبثق من المدرسة النقدية و مدرسة التفاعلات الرمزية. لكن يبقى السّؤال الجوهري

قائما باستمرار...عن مدى قابلية تطبيق الأطر النّظرية و المنهجية الكلاسيكية على الظواهر الجديدة؟ و هل تعتبر كافية وحدها؟

في هذا الصدد، يرى الباحثون أن خصوصية التحوّلات التي فرضتها البيئة الاتصالية الجديدة تختلف عن الإعلام الجماهيري، لذا فهي لا تستدعي التفكير في تطوير مناهج ملائمة، فحسب، و إنما تلزمنا التفكير في عُدّة نظرية و مفاهيمية تأخذ بعين الاعتبار خصوصية الإعلام الجديد ، و كذا السياقات التي يتبلور فيها ، و عدم الاكتفاء بإحداث إسقاطات جاهزة لمفاهيم و نظريات دون معرفة حدودها المعرفية. و هو ما ي ستلزم الوقوف عنده، في دراسة هذه الظواه ر، وبخاصّة في المنطقة العربية [22]. إنّ رفع التّحدي باستحداث آليات بحثية جديدة، لا يعني ، بالضرورة، إحداث قطيعة مع الأطر النظرية و المنهجية الكلاسيكية، و إنّما الاستفادة منها و تجديدها ، بما يتماشى مع أشكال وخصائص الإعلام الجديد.

5. 1 البحوث الاجتماعية في ظل الممارسات الإعلامية الجديدة:

ممّا لا شك فيه أن الظواهر الإعلامية تزداد تعقيدا يوما بعد يوم ، و لا سيما، بعد انتشار و الوسائط الإعلامية و تنوعها (مواقع التواصل الاجتماعي، الميديا الهجينة، تعدد الحوامل) ، وتشذر عملية التلقي . فأصبح الفرد يتلقى المعلومات من مصادر متنوعة ، و يقوم بعدة أنشطة في آن واحد: يقرأ اللوح الإلكتروني، يشاهد التلفزيون، يستخدم الهاتف، ما يعرف ب Media multitasking[23]. كما توجهت وسائل الإعلام الكلاسيكية (كالجرائد، و التلفزيون) إلى إعادة النظر في قوالب صياغتها، ممّا أدّى إلى بروز الميديا الهجينة، بعيدا عن التقسيم ميديا تقليدية و ميديا جديدة[24].

و سعيا إلى فهم التطوّرات الحاصلة ، صار النقاش العلمي يدور حول ضرورة التّفكير في منهجيات ملائمة و معاصرة. ففي تقرير بحثي أعدّه الباحثان الكنديان "سارج برول" و "جوليان روياف" [25] ، حول الرّهانات المنهجية و الإبستيمولوجية في دراسة الممارسات الإعلامية عبر ا لإنترنيت، من خلال استجواب حوالي 24 باحثا، يشير الباحثان إلى مصطلح "الترقيع المنهجي" *[3] للتعبير عن اجتهاد الباحثين في تبني "استراتيجيات منهجية" من أجل دراسة الظواهر الإعلامية الرّاهنة، أي العمل بمنهجية "هجينة" تجمع بين المناهج الكيفية و المناهج الرّقمية.

يصنّف الباحثان المقاربات المنهجية المتّبعة في البحوث الحالية إلى:

- المناهج التعاقدية أو الكلاسيكية (الكيفية أو الكمية) ، التي تم تبنّيها و تكييفها لدراسة الظواهر الجديدة ،بالاستعانة بأدوات بحثية، مثلا: الاستمارة الإلكترونية، المقابلة عبر الخط (عن طريق الوسائط الرقمية كالإيميل، شبكات التواصل الاجتماعي) و الملاحظة بالمشاركة.

- الإثنوغرافيا الافتراضية، التيتطوّرت بفضل جهود الباحثة كريستنهاين ، و التي تمثّل في جوهرها استمرارية للمنهجية البحثية التي أسّس لها الباحثون الإثنوبولوجيون، و تعتمد أساسا على الوصف الدّقيق و المفصل للحقائق محل الملاحظة.

- مناهج الحوسبة (تعالج البيانات الكبرى Big Data) و تهتم بالعلامات التي يتركها المستخدمين عبر الأنترنيت (الإعجاب، الكبسات، التعليقات)، و التي تعتمد على الخوارزميات و أنظمة الإعلام الآلي لمعالجتها و تمثيلها بيانيا.

- المناهج الرقمية (Digital methods)، اهتم بها ، في البداية ، مجموعة من الباحثين من جامعة أمستردام، و على رأسهم ريتشارد روجرز، فهي تعنى بدراسة شبكة الأنترنيت ومواقع التواصل الاجتماعي من أجل فهم تطور المجتمع، الثقافة و الإعلام في العالم الواقعي و الافتراضي[26].

تجدر الإشارة إلى أنّ البحوث الإعلامية الرّاهنة، على غرار باقي العلوم الاجتماعية الأخرى، تستدعي العمل ضمن فرق بحثية ، يشترك فيها مختصين في الإعلام الآلي ، للتمكّن من فهم الظواهر الإعلامية. ممّا يستوجب الأخذ بعين الاعتبار هذه التحوّلات في الجامعات و المخابر البحثية، من أجل الاستجابة لمتطلبات البحث و الباحثين في هذا المجال (المؤهلات المادّية و البشرية).

تتميّز معظم البحوث و الدراسات، حول التطوّرات الحاصلة في المجال الإعلامي (صحافة المواطنة، الاتصال السياسي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، تحليل مضمون المواقع الإلكترونية)، بهيمنة الوصف و التكميم ، ممّا يجعلها قاصرة في إنتاج معاني أكثر عمقا. إلاّ أنّ إدراك الواقع و سياقاته المختلفة، يستدعي من الباحث تجنيد تقنيات بحثية مدعّمة، كإجراء مقابلات مع الفاعلين،لمحاولة فهم ممارساتهم و تمثّلاتهم، و كذا إبراز المعنى الذي يضفونه إلى أفعالهم، مع مراعاة الأبعاد (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية) ، التي تميّز سياق العملية الاتصالية (البعد الماكروسوسيولوجي للبحث).

5. 2 التحدّيات النظرية و المنهجية في البحوث الرّقمية الرّاهنة:

إنّ نمو الاعتماد على الوسائط الرّقمية من طرف المستخدمين، زاد من رغبة الباحثين لتطوير تراث نظري يعكس خصوصية الظواهر الجديدة المتعلّقة بانتشار الأنترنيت. إلاّ أنّ النّظريات المفسّرة للإعلام الجديد، لم تستطع التّخلّص من تبعيتها لفروض النّظريات

المهيمنة، في علوم الإعلام و الاتصال [27]، أو في العلوم الإنسانية و الاجتماعية بصفة عامّة.حيث أصبحت البحوث تعتمد على مقاربة استدلالية بتبني أسس و مناهج النظريات الكلاسيكية و محاولة استقراء الظواهر الجديدة بإضافة عدّة مفاهيمية مناسبة. ممّا أدّى بالكثير من الباحثين إلى إطلاق مشاريع بحثية لاقتراح نماذج نظرية و منهجية لدراسة الظواهر الجديدة مع مراعاة خصائصها و سياقات تبلورها[28].

6. خاتمة

نستنتج ممّا تقدّم أنّ التّحول السريع الذي فرضه التطوّر التكنولوجي ، دفع الباحثين إلى تطوير منهجيات بحثية هجينة لوصف الظواهر الرّاهنة ،المتعلّقة بالفضاءات الرّقمية و تحليلها. في ظل الرّهانات الحالية لاتوجد منهجية نهائية و توافقية يجدر اتباعها، مع أنّ أغلب البحوث تعتمد بشكل كبير على القياس و التّكميم،على حساب البحث الكيفي، الذي يتيح تأويل الممارسات الثقافية و الاجتماعية المستجدّة و فهم معانيها.

لقد أثارت الدّراسات الرّقمية من جديد ، الإشكاليات المتعلقة ب " إبستيمولوجيا العلوم الاجتماعية"، بمستوياتها النّظرية، و المنهجية، و الإجرائية.

إنّ استقراء التّرسانة المنهجية المتّبعة في الدّراسات الاجتماعية المعاصرة صارت ضرورة قصوى بالنّسبة للباحثين، إذ يرى بعضهم أنّ المعارف الج ديدة،النّاتجة عن دراسة أنساق اجتماعية رقمية بطرق إحصائية، غير قابلة للتعميم،كما أنّ دراسة معطيات رقمية ضخمة (**Thick data**) لا يعني بالضرورة تمثيلها للواقع بكل دقة و موضوعية[29].

إنّ تطوّر البحوث الرّقمية (المفاهيم و النظريات و المناهج)، يبقى مرهونا بقدرة الباحثين على استحداث مفاتيح معرفة علمية، تسمح باستجلاء كافة جوانب الظواهر المدروسة، بكل

أبعادها الاجتماعية و مؤشراتها التفسيرية،و هذا بتكثيف جهودهم و العمل ضمن فرق متعددة التخصصات: كعلم الاجتماع، علوم الإعلام و الاتصال،و الإعلام الآلي.

البحوث الإعلامية، باعتبارها جزءا من هذه التحوّلات، ينبغي أن لا تنحصر فقط في تكميم الممارسات و الاستخدامات الحديثة، و إنّما يجدر الاهتمام بالإشكاليات المعقّدة و المتشعبة ذات الصلة بالميديا المعاصرة في سياقاتها المختلفة، كدراسة المضامين، الخطابات، العلاقات و غيرها من المواضيع التي باتت تشكل حلقة وصل بين الفضائين التقليدي و الرقمي.

7. الهوامش والمراجع

[1*] «Une radicale modification du paysage intellectuel»

[*2] بالنسبة للباحث Boullier تتميز المعلومات التي بوفرها الواب بثلاث ميزات (les 3V : volume, variété et vélocité).

[3*]En ligne et hors ligne.

[4*] Le bricolage

[1]Berthelot Jean-Michel (1996), Les vertus de l'incertitude – Le travail de l'analyse dans les sciences sociales, Paris, PUF.

[2] اتصار عبد الرزاق، صفد حسام الساموك (2011)، الإعلام الجديد تطور الأداء و الوسيلة و الوظيفة ، الدار الجامعية للطباعة و النشر و الترجمة، جامعة بغداد،.

[3]سرحان باسم (2017) ، طرائق البحث الاجتماعي الكمية، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت.

[4]Gauthier Benoit (2009), Recherche sociale : de la problématique à la collecte des données, 5ed. Presses de l'Université de Québec, p5.

[5]موريس انجرس (2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبة للنشر، الجزائر.

[6]Gosselin André, 1994, La notion de problématique en sciences sociales, in revue : Communication, information Médias Théories, vol 15n°2, p126. Disponible en

ligne sur : La notion de problématique en sciences sociales - Persée (persee.fr). Article consulté le 6/11/2017.

[7]بن الصغير عبد المومن (2013)، الصعوبات التي تعترض الباحث في مجال العلوم الإنسانية و الاجتماعية و حدود الموضوعية العلمية، مجلة جيل العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ص 29. موجود عبر الرابط الآتي: http://jilrc.com/wp-content/uploads، تم الاطلاع عليه يوم 26 أكتوبر 2021.

[8]Bourdeloie Hélène (2013), Ce que le numérique fait aux sciences humaines et sociales, tic&société [En ligne], Vol. 7, N°2 | 2ème semestre, p6. URL : http:// ticetsociete.revues.org/1500, consulté le 30/06/2020

[9]Mounier Pierre, Dacos Marin (2014), Humanités numériques : État des lieux et positionnement de la recherche française dans le contexte international, Institut Français, p6. Open Edition, Url : https://www.enssib.fr/, consulté le 20/05/2020.

[10]Idem.

[11]Granjon Fabien, Magis Christophe (2016), « Critique et humanités numériques», p3. Variations [En ligne], 19. URL : http://journals.openedition.org/ variations/748, consulté le 30 avril 2020.

[12]Boullier Dominique (2015), Les sciences sociales face aux traces du Big data, Société, opinion ou vibrations ?, Presses de Sciences Po | «revue française de science politique», 2015/5 Vol. 65, p 814. URL : https://www.cairn.info/revue-francaise-de-science-politique-2015-5-page-805.htm, consulté le 17/ 02/2020.

[13]Beaude Boris (2017), Médiations numériques et perturbations des sciences sociales contemporaines, La sociologie numérique, Volume 49, p93, numéro URL: https://www.erudit.org/fr/revues/socsoc/2017-v49-n2-socsoc04144/1054275ar/. Consulté le 14/06/2020.

[14]Boullier Dominique, op.cit. p. 815.

[15]Beaude Boris, op. cit. p. 91.

[16]Denouël Julie (2011), Identité, In: Communications, 88, Cultures du numérique, pp. 76- 78; https://www.persee.fr/doc/comm_0588-8018_2011_num_88_1_2587. Consulté le 17/ 02/2020.

[17]عيسات نادية، مقاربات إبستيمولوجية في العلوم الإنسانية، موقع مكتبة الأكاديمية العربية، موجود عبر الرابط الآتي:https://academia-arabia.com/ar/reader/2/21331 تم الاطلاع عليه يوم 26 أكتوبر 2021.

[18] Pasquier D. (2020), Méthodes de recherche en contexte numérique une orientation qualitative, (s.dir) Millette M., Millerand F., Myles D., Latzko T., Les Presses de l'université de Montréal, p. 8. Disponible en ligne, URL :

https://pum.umontreal.ca/catalogue/methodes_de_recherche_en_contexte_numerique/fichiers/. Consulté le 15/10/2021.

[19]العياضي نصر الدّين (2011)، الرهانات الابستيمولوجية و الفلسفية للبحث الكيفي: نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام و الاتصال في المنطقة العربية، مداخلة مكتوبة موجودة على الرابط الآتي: https://www.anfasse.org/index.php/2010-12-27-01-33-59/2010-12-05-18-31-21/4345-nasser-eddine-liyyadi, تم الاطلاع عليه يوم 26 أكتوبر 2021.

[20]Mattelart Michèle et Armand (2002), Histoire des théories de la communication, Paris, La découverte.

[21]Cormerais F., Le Deuff O., Lakel A. et Pucheu D. (2016), Les SIC à l'épreuve du digital et des Humanités : des origines, des concepts, des méthodes et des outils, Revue française des sciences de l'information et de la communication, p. 3. [En ligne], 8 | 2016, mis en ligne le 23 mars 2016, consulté le 01 juillet 2020. URL : http://journals.openedition.org/rfsic/1820 . Consulté le 1/07/2020.

[22]العياضي نصر الدّين، 2016، ص 189. العياضي نصر الدين، تكنولوجيات وسائط جديدة و إشكاليات قديمة: التفكير في عدة التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية، المجلة الجزائرية للاتصال، رقم 22، ص 117–159، تم الاطلاع عليه عبر منصة ASJP، عبر الرابط الآتي: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/82549، تاريخ الاطلاع: 20ماي 2020.

[23]Wang Z., Irwin M., Cooper C., Srivastava J., (2015), Multidimensions of Media Multitasking and Adaptive Media Selection, Human communication research, 2014.https://www.thedocc.com/wp-content/uploads/2015/02/J25.-WangIrwinCooperSri2015-d-of-MT.pdf . Consulté le 1/05/2020.

[24]العياضي نصر الدّين (جوان 2020)، الرهانات الابستيمولوجية و الفلسفية للبحث الكيفي: نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام و الاتصال في المنطقة العربية، مداخلة مكتوبة موجودة على الرابط الآتي: https://www.anfasse.org/index.php/2010-12-27-01-33-59/2010-12-05-18-31-21/4345-nasser-eddine-liyyadi, تم الاطلاع عليه يوم 26 أكتوبر 2021.

[25]Proulx Serge, Rueff Julien (2018), Actualité des méthodes de recherche en sciences sociales sur les pratiques informationnelles, en ligne, disponible sur : https://www.researchgate.net/publication/329116757_Actualite_des_methodes_de_recherche_en_sciences_sociales_sur_les_pratiques_informationnelles. Consulté le 19/05/2020.

[26]Rogers Richard (2009), pp. 2-5, The end of the virtual- digital methods, En ligne : https://www.researchgate.net/profile/Richard_Rogers13/publication/238579672_The_End_of_the_Virtual_Digital_Methods/links/55d4388d08ae0a34172277cd.pdf. Consulté le 30/03/2020.

[27]هميسي نور الدين، 2014، ص 82. هميسي نور الدين، الأطر النظرية و المنهجية لدراسة الميديا الجديدة: قراءات نقدية، مجلة علوم الإنسان و المجتمع، 2014،موجود عبر الرابط الآتي :https://www.asjp.cerist.dz/en/article/48277، تم الاطلاع عليه يوم30 أكتوبر2021.

[28] Coutant. A, Domenget. J-C. (2020), L'analyse du numérique dans une perspective complexe avec la sociologie des usages, (s.dir) Millette M., Millerand F., Myles D., Latzko T, Les Presses de l'Université de Montréal, p. 69. Disponible en ligne, URL : https://pum.umontreal.ca/catalogue/methodes_de_recherche_en_contexte_numerique/fichiers/. Consulté le 15/10/2021.

[29]Millerand F., Myles D., Proulx S. (2020), La redistribution des méthodes de recherche en contexte numérique : critique d'une cartographie, (s.dir) Millette M., Millerand F., Myles David., Latzko T., Les Presses de l'université de Montréal, p. 29. Disponible en ligne, URL : https://pum.umontreal.ca/catalogue/methodes_de_recherche_en_contexte_numerique/fichiers/. Consulté le 15/10/2021.

[30]حويتي احمد، صعوبات تنفيذ العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، حوليات جامعة الجزائر، رقم 1، ص 69-91. موجود عبر الرابط الآتي https://www.asjp.cerist.dz/en/article/48031، تم الاطلاع عليه يوم 13 جوان 2020.